أبعاد الربانية في دعوة الإخوان

الثلاثاء 23 أبريل 2013 12:04 م

د. وصفي عاشور أبو زيد

في مقال الأسبوع الماضي تحدثت عن أن ربانية الإخوان هي سر التماسك لبنائها وتنظيمها، وهي تفسير الاستمرار دون بقية التنظيمات والحركات التي نشأت وتنشأ وسرعان ما تتفكك وتتلاشى.

واليوم أسوق بعضا من جوانب هذه الربانية لدى هذه الجماعة التي رسم معالمها المؤسس الأول الأستاذ الإمام حسن البنا؛ حيث قرر أن الربانية من أخص خصائص منهج الإخوان المسلمين ودعوتهم، فقال في رسالة "دعوتنا في طور جديد": "أما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتعرَّف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسِموا بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها".

ومن أبعاد الربانية في دعوة الإخوان المسلمين ربانية المصدر، فلا تصدر عن رؤية أو رأي إلا إذا جعلت الإسلام بقرآنه الكريم وسنته المشرفة مصدرها الأول، يقول الإمام البنا في رسالة المؤتمر الخامس: "يعتقد الإخوان المسلمون أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم, اللذان إن تمسكت بهما فلن تضل أبدا, وأن كثيرا من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها, ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى, وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم, وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به, ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معنا ".

وإذا كان الإسلام هو المصدر الأساس والمنطلق الأول فإن الغاية والمنتهى هي الله تعالى، وهي ما يمكن تسميته بربانية الوجهة والغاية، يقول الإمام في رسالة المؤتمر الخامس: "إن غاية الإخوان تنحصر في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وأن وسيلتهم في ذلك تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها وأنهم ساروا إلى غايتهم في حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها".

وبين ربانية المصدر والمنهج وربانية الغاية والوجهة تتبدى العُدة والوسائل والآليات، وهي ربانية بامتياز، يقول الإمام البنا في رسالة "الإخوان المسلمون تحت راية القرءان" : "عدتنا هي عدة سلفنا من قبل, والسلاح الذي غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته معه العالم , مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد, هو السلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد .لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده بالله ونصره وتأييده (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ) (آل عمران:160). وبالقائد وصدقه وإمامته (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب:21). وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ , يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ) (المائدة:15-16). وبالإخاء وحقوقه وقدسيته (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات:10) . وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة:120). وبأنفسهم: فهم الجماعة التي وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين, وكتب لهم الفضل بذلك, فكانوا خير أمة أخرجت للناس .. لقد سمعوا المنادي ينادي للإيمان فآمنوا, ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان, ويزينه في قلوبنا كما حببه إليهم وزينه من قبل في قلوبهم ...كذلك كانوا: صدق جهاد, وعظيم تضحية, وكبير بذل, وكذلك نحاول أن نكون". اهـ.

هـذه هي أهم أبعـاد ومعـالم الربانيـة في دعوة الإخـوان كمـا رسـمها مؤسسـها، والتي يجب علينـا الآن أن نحرص عليهـا، وأن نتمثلها في أقوالنا وأفعالنا حتى يرتّب الله لنا عليها ما رتب عليها للجيل الأول الذي كان حريصا كل الحرص عليها، وهكذا يجب أن يحرص كل مسلم وكل جماعة وكل حركة